مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٢، صيف ١٤٣٩هـ
صفحة ٢٨٥-٣٠٦

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

ماهية الدّنيا في النّسق التّصوري الاستعاري العلوي في نهج البلاغة (على أساس نظرية علم الدلالة المعرفي)

مرتضى قائمي*

أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلي سينا، همدان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/١١/٣٠؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٨/٥)

الملخّص

قد حصل علم الدّلالة المعرفي على مكانة متميزة في السّنوات الأخيرة. الاستعارة المفهومية من أهمّ محاور الدراسة والتحقيق في علم الدلالة المعرفي. بما أنّ الاستعارة ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة والفكر فدراسة الاستعارات المفهومية في النصوص الدينية تكشف السّتار عن وجوه مخفية من المفاهيم المطوية في النصّ. هذا البحث يحاول أن يدرس استعارات الدنيا المفهومية في نهج البلاغة بالمنهج الوصفي- التحليلي لتحديد أهمّ استعارة مفهومية استخدمها الإمام عليه السلام لتعريف ماهية الدنيا وتحديد أهمّ خصائص هذه الاستعارات ودراسة العلاقة بين الاستعارات المفهومية حول الدنيا وأفكار وثقافة الإمام علي عليه السلام . تدلّ نتائج هذا البحث علي أنّ الاستعارتين "الدّنيا دار ومنزل" و"الدّنيا انسان غدّار خدوع" أشهر استعارات نهج البلاغة المفهومية في تعريف ماهية الدنيا. كثرة الاستعارات وتنوعها وتعددها والحيوية فيها وارتكاز الاستعارات على المفاهيم الدينية والثقافية وانسجامها مع هذه المفاهيم هي أهمّ سمات هذه الاستعارات وخصائصها. يستخدم الإمام عليه السلام ألوان الاستعارة في تعريف الدنيا وحالاتها بتحويل الاستعارات الوضعية وفقا للأفكار الدينية واللغة القرآنية وباستخدام الاستعارات الإبداعية التي تتناسب الثقافة الإسلامية.

الكلمات الرئيسة

الاستعارة المعرفية، الدنيا، علم الدلالة المعرفي، نهج البلاغة.

* الكاتب المسؤول
Email: mortezaghaemi2@gmail.com

Archive of SID
www.SID.ir

مقدمة

بعد أن تطوّرت اللّسانيات المعرفية وعلم الدّلالة المعرفي في الثمانينات خاصة، حظيت نظرية الاستعارة المفهومية بإهتمام بالغ من قِبل الدارسين والمحققين واستطاع لايكوف[1] وجونسون[2] أن يستلفتا عناية الدارسين إلى هذه النظرية بتاليف كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" الذي فصلا أرائهما فيه. قد أثبت هذا الإتجاه أنه باستطاعته أن يقدم تحليلا جديدا وخاصا للنصوص المختلفة ونجح أن يفسّر تفسيرا جديدا للعلاقة بين اللغة والمعرفة وينتهج منهجا للتعرف على كيفية بنينة النسق التصوري وكيفية بناء التصورات المفهومية المتناسبة مع الفكر والثقافة.

على هذا الاساس وبالعناية إلى مكانة الاستعارة المفهومية في اللسانيات الحديثة، بإمكاننا استخدام هذه النظرية لدراسة النصوص المختلفة منها العلمية والثقافية والدينية.

نهج البلاغة من أهمّ المصادر الدينية والأخلاقية العلمية، الذي نستطيع أن ندرسه بمناهج مختلفة علمية وجمالية. فنحاول أن نتعرف عبر المنهج الوصفي- التحليلي، على وجه آخر من الوجوه العلمية الثقافية لنهج البلاغة؛ كما نريد أن نتعرف على كيفية بناء التصورات الاستعارية في نهج البلاغة بدراسة الاستعارات المفهومية فيها المستخدمة في موضوع الدنيا وتعريف ماهيتها وكيفية التعامل بها. حداثة البحث تعود إلى أنّه لم تُدرس حتى الآن مكانة الاستعارة المفهومية في تبيين وتفسير وتجسيم المفاهيم الدينية خاصة مكانة الدنيا في النظام المعرفي العلوي في نهجالبلاغة؛ فالمطلوب هو الإجابة عمّا يلي:

أ) ما هي أهمّ أنواع وسمات الاستعارات المفهومية في تعريف ماهية الدنيا وحالاتها في نهج البلاغة؟

ب) ما هي العلاقة بين الاستعارات المفهومية حول الدنيا وأفكار وثقافة الإمام علي عليه السلام .

فالهدف الرئيس من البحث يعود إلى الحصول على البنية العميقة لنص نهج البلاغة، نتمكن بها أن نعثر على فهم أعمق وأدق لنص نهج البلاغة ونحصل على أفكار الإمام علي عليه السلام السامية بدراسة التصورات الاستعارية المستخدمة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

1. Lakoff
2. Johnson

Archive of SID

www.SID.ir

فرضية البحث هي: أنّ للاستعارات المفهومية مكانة متميزة في تكوين النسق التصوري العلوي والإمام علي عليه السلام استخدم الاستعارات البنيوية ثم الأنطولوجية التشخيصية الحية أكثر من أنواع الاستعارة المفهومية الأخرى وانسجام الاستعارات مع الأفكار الاسلامية وحيويتها وتنوعها من أهمّ سمات هذه الاستعارات.

خلفية البحث:

لم يفرد لايكوف وجونسون بابا مفصلا لدراسة العلاقة بين الاستعارة والمذهب في كتاب"الاستعارات التي نحيا بها" إلّا أنهما أعربهما عن وجهات نظرهما حول علاقة الثقافة والاستعارة في هذا الكتاب وأصدر جونسون كتاب «الخيال الأخلاقي: مستتبعات علم الذهن للأخلاق» عام ١٩٩٣.

هناك عدة مقالات تتناول موضوع علاقة الاستعارة بالمفاهيم الدينية والكتب السماوية بالدراسة؛ منها «مقالة: "الحواريون بمثابة ملح الأرض" للارنس إراسرد الذي يدرس في بحثه عن هذه الاستعارة ومفهومها بوصفها استعارة من استعارات إنجيل ومنها إيضا مقالة"النظرية المعرفية في الاستعارات الّتي استخدمت في النصوص الدينية" حاول فيها جاكل[1] أن يدرس مطابقة أصول الاستعارة المفهومية على استعارات كتاب الإنجيل وخاصة بدراسة استعارة"الحياة سفر"» (ينظر: پورابراهيم، ١٣٨٨: ٤٥-٥٠) وهناك دراسات قليلة أنجزت حول الاستعارات المعرفية في النص القرآني؛ منها رسالة دكتوراه ألّفتها السيدة پورابراهيم تحت عنوان "لسانيات الاستعارة في القرآن: المنهج المعاصر للاستعارة (النظرية المعرفية)" درست المؤلفة في هذه الرسالة أنواع الاستعارة المعرفية في القرآن الكريم محللة بعض الشواهد والأمثال. الدارس لم يعثر على مولفات حول استعارات نهج البلاغة بالمنهج المعرفي إلّا رسالة "التحليل المفهومي لاستعارات نهج البلاغة: منهج اللسانيات المعرفية" لمهتاب نور محمدي ناقشتها سنة ١٣٨٧ش بجامعة تربيت مدرس ومقالة «التحليل المفهومي لاستعارات نهجالبلاغة، منهج اللسانيات المعرفية» المأخوذة من تلك الرسالة، كتبتها مهتاب نورمحمدي والزملاء ونشرت بمجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية العدد ٢٢ سنة ١٣٩١ش. تناول فيها الباحثون عددا من الاستعارات في نهجالبلاغة بالتحليل والدراسة على أساس نظرية

1. Jakel

Archive of SID

www.SID.ir

الاستعارة المفهومية. كما يدرس مرتضى قائمي صورة الأخلاق في نهج البلاغة على اساس علم الدلالة المعرفي بمقالة تحت عنوان "توظيف الاستعارة المفهومية لتكوين المنظومة الأخلاقية في نهج البلاغة؛ التقوى وهوى النفس أنموذجا (على أساس اللّسانيات المعرفية)" نشرت بمجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٢، العدد ٤، الشتاء ١٤٣٨هـ، بمدينة قم.

البحث هذا يريد إلقاء الضوء على قسم خاص من الاستعارات المفهومية المختصة بتعريف الدنيا وماهيتها وكيفية بَنينَة هذه الاستعارات على أساس المعرفة الدينية العلوية في نهج البلاغة.

نظرية الاستعارة المعرفية

بعد أن تطورت اللسانيات المعرفية وأثّرت تاثيرا بالغا على العلوم المختلفة الفلسفية، الأدبية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، إتجه الدّارسون إلى علم الدلالة المعرفي والاستعارة المعرفية. الاستعارة المفهومية من أبرز وأهمّ المباحث في علم الدلالة المعرفي وهي إتجاه تجريبي تفاعلي قدّمها جورج لايكوف ومارك جونسون في إطار نظرية الدلالة المعرفية بتأليف كتابهما: "الاستعارات التي نحيا بها" مؤكدينِ على محورية التجربة في الفكر اللغوي.

مع أننا «نواجه في اللسانيات المعرفية عدّة نظريات لها وجوه مشتركة في الأساس كما في اللسانيات الشكلانية واللسانيات الوظيفية» (دبير مقدم، ١٣٨٣: ٦٦). هذا الاتجاه يعتبر اللغة أداة لتنظيم المعلومات وتجهيزها ونقلها فيعطي أهمية بالغة لدراسة الأسس المفهومية والتجريبية للمقولات اللسانية وتحليلها (گيرارتس[1] وكوئينز، ٢٠٠٧: ٣).

الاستعارة المفهومية «عبارة عن إدراك حقل مفهومي من خلال إدراك حقل مفهومي آخر» (كوچش، ١٣٩٣: ١٤). يسمّى الأول حقل المقصد (المجال المستهدف) الذي جرى مجرى المستعار له والثاني حقل المبدأ (المجال المصدر) الذي يجري مجرى المستعار منه؛ كما في "الحياة تجارة" التي ندرك بها مفهوم الحياة في إطار مفهوم التجارة واستعارة "الدنيا عدوّ" الّتي ندرك بها مفهوم الدنيا من خلال إدراك مفهوم العدوّ. نظرية الدلالة المعرفية تعتقد في دراساتها بدور هامّ وخاصّ للاستعارة وتعتبرها وسيلة مناسبة للكشف عن كيفية التفكير وكيفية السلوك اللغوي (صفوي، ١٣٩٢: ٣٦٩).

1. Geeraerts and Cuykens (2007) p3.

Archive of SID

www.SID.ir

يؤكد لايكوف وجونسون على نسقية التصورات المفهومية وجامعية التصورات الاستعارية قائلَين: «يلعب نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية وإذا كان صحيحا أنّ نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية فإنّ تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كلّ يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٢١). فمن أهم ما تدّعيه هذه النظرية، تجريبية الأسس الاستعارية مع الاختلاف في نوعها. كما قيل «أنّ النماذج المعرفية للظواهر الانتزاعية لا تتشكل إلّا على أساس تجاربنا الأصلية والأساسية» (اونكرر وإشميت[1]، ١٩٩٦: ١٢٥).

تؤكد هذه النظرية على الانسجام في أجزاء الاستعارة ونسقية التصورات الاستعارية والعلاقات الوثيقة بين الاستعارة المفهومية ومقتضياتها التي تبنى على أساس الاستعارة الأصلية المحورية. تدّعي هذه النظرية أننا لا نواجه الأبعاد المختلفة في حياتنا وسلوكنا وعلاقاتنا الكلامية إلا باستعارات.

على هذا الاساس «نستطيع أن نحدّد حقلا مبدئيا (مجالا مصدريا) وحقلا مقصديا (مجالا مستهدفا) لكلّ من جميع الاستعارات مع أنّ إنتزاعية حقل المقصد وعينية وتجريبية حقل المبدإ ممّا نجد في أغلب الاستعارات» (لي[2]، ٢٠٠١: ٦).

أنواع الاستعارة المفهومية

الاستعارة المعرفية على نوعين: الوضعية والإبداعية ثم الوضعية على ثلاثة أقسام: الأنطولوجية، البنيوية والاتجاهية. الاستعارات الأنطولوجية تقدم بنيات معرفية محدودة وأقل فسحة بالنسبة إلى الاستعارات البنيوية. الاستعارات الأنطولوجية تساعدنا أن ندرك البنيات والحقول المبهمة بوضوح ودقة أكثر. (ينظر: لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٤٥- ومابعدها؛ كوچش، ١٣٩٣: ٦٤)

«إنّ فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة أو باعتبارها مواد من نوع واحد وحين نتمكن من تعيين[3] تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد فإنه يصبح بوسعنا الاحالة عليها ومقوَلَتُها[4] وتجميعها وتكميمها وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا... تستخدم الاستعارات

1. Ungerer and SCHMID (1996) p125.
2. Lee, David. (2001) p6.
3. Identify
4. Categorize

Archive of SID

www.SID.ir

الأنطولوجية لفهم الأحداث[1] والأعمال[2] والأنشطة[3] والحالات[4] إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها آشياء وأنشطة باعتبارها مواد والحالات باعتبارها أوعية» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٤٥).

تجربة الفرد مع الأشياء الفيزيائية المحيطة به وخاصة جسده تعدّ أساسا ومرتكزا لاستعارات انطولوجية متنوعة وحين تكون الأشياء غير محدودة المعالم أو غير معزولة بصورة واضحة فإننا نسعى دوما لموقلتها وذلك بفرض حدود اصطناعية لها بالتالي جعل مختلف الظواهر الفيزيائية أشياء لها حدودها الواضحة والجلية ومنعزلة تماما مثلما نحن كيانات محدودة بمساحات معينة وتستعمل الاستعارات الانطولوجية لقضاء حاجات مثل؛ الإحالة، التكميم، تعيين المظاهر، تعيين الاسباب وغيرها من الوظائف. (جميلة كرتوس، ٢٠١١: ٤٤) فمثلا استعارة *"العلم شيء"* في عبارة «عندي علم» وعبارة "له علوم كثيرة وعديدة" عدّ فيها العلم شيئا يمكن أن يكون عندنا ويمكن أن يكون كثيرا وعديدا.

مفادّ الاستعارات البنيوية أن يبَنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٣٣) قد ترتكز الاستعارات الوضعية ذات التنوع البنيوي (مثل الافكار أغذية) على مشابهات تنشأ من استعارات اتجاهية وأنطولوجية. هذا ما نرى في استعارة "الافكار أغذية" إذ ترتكز على استعارة "الافكار أشياء" (الانطولوجية) وعلى استعارة الذهن وعاء (أنطولوجية واتجاهية) (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ١٥٦) «في هذا النوع من الاستعارات يشكل حقل المبدأ (المجال المصدر) بنية غنية نسبيا لإدراك حقل المقصد (المجال المستهدف). إذن هذه البنية أوسع وأغنى مما نرى في الاستعارات الأنطولوجية» (ينظر كوچش، ١٣٩٣: ٦٣) كما في استعارة *"الزمان حركة"* فنحن ندرك الزمان بحسب الأشياء، مكان الأشياء وحركتها ومبدأ الحركة ومقصدها وأمثال ذلك مما يمكننا من إقامة انطباقات استعارية.

إنّ هناك مفهوما استعاريا لا يبنين فيه تصور عن طريق تصور آخر ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة ونسمي هذا النوع بالاستعارات الاتجاهية، إذ

1. Events
2. Actions
3. Activities
4. States

Archive of SID

www.SID.ir

أنّ أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي (لايكوف وجونسون، ۲۰۰۹: ۳۳) كما في استعارتي "*العظمة عالية والهوان دانية*" في عبارة «هو في قمة العزة والعظمة» وعبارة «إنك في حضيض الهوان».

الاستعارات الإبداعية هي التي توجد خارج نسقنا التصوري المتواضع عليه وهي الاستعارات الخيالية والإبداعية.هذه الاستعارات كفيلة بإعطائنا فهما جديدا لتجربتنا كما تعطي معنى جديدا لماضينا ولنشاطنا اليومي ولما نعرفه ونعتقده (لايكوف وجونسون، ۲۰۰۹: ۱٤٥) وقد يبدع في الاستعارات وبناء التصورات بواسطة التغيير والتبديل في الاستعارات الوضعية المعهودة فمثلا استعارة "الحياة سفر" قد تتغير في مقتضيات وجزئيات عديدة في الثقافات المختلفة على أساس مبانيها وأصولها الفكرية والثقافية.

الاستعارة والمفاهيم الدينية

بما أنّ البعد الوظيفي للاستعارة يرتبط بتصوير كلّ ما هو ذهني وانتزاعي وتجسيمه وتجسيده ومن جانب آخر معظم المفاهيم الدينية انتزاعيَة؛ إذن الدين والمفاهيم العقدية مجال فسيح لاستخدام الاستعارة لإدراك المفاهيم وتعريفها للآخرين وفي مقام الهداية والتبشير والإنذار. فالمتكلم والواعظ والخطيب والكاتب في الدين والمعتقدات والأديب بحاجة ماسّة إلى الاستعارة، فهناك علاقة وثيقة بين المفاهيم الدينية والاستعارة المعرفية ولايمكن إدراكها وتصورها الّا باستخدام الاستعارة.

يعتقد هريسون[1] أنّ «هناك مشتركات عديدة بين اللغة اليومية العامة ولغة الدين ويعتقد بنوع من الغرابة في لغة الدين لأننا عندما نتكلم عن الله وصفاته لابدّ لنا من استخدام كلمات مأخوذة من تجاربنا وإن لم يكن الله في حصار تجاربنا وهذا ينتج تلك الغرابة» (هريسون[2]، ۲۰۰۷: ۱۲۹-۱۳۰) ويدّعي لارنس إراسرد[3] أنّ كلّ دين له استعارات أصيلة تتكوّن حولها استعارات عديدة فمثلا استعارة "الله بمثابة العشق" من الاستعارات الأصيلة والأصولية في "إنجيل" كما قال المسيح للحواريين "أنتم ملح الأرض" على أساس إنجيل متى وعبارة "أنتم ملح الأرض" استعارة مفهومية (إراسرد، ۱۹۹۷: ۱۹۹).

1. Harrison
2. Harrison (2007) 129-130
3. Laurence Erussard

Archive of SID

www.SID.ir

استعارات الدّنيا المفهومية في نهج البلاغة

الدّنيا هي الدار والمنزل:

الاستعارة	المصدر	الاستعارة	المصدر	الاستعارة	المصدر
(الدنيا) دار ممرّ	ق ١٣٣	(الدنيا) منزل قلعة	خ١١٣	(الدنيا) دار صدق	ق ١٣١
(الدنيا) دار بالبلاء محفوفة	خ٢٢٦	(الدنيا) منزل الزاد	خ ٢٣٠	(الدنيا) دار عافية	ق ١٣١
(الدنيا) دار مجاز	خ ٢٠٣	(الدنيا) دار بلية	ر ٥٩	(الدنيا) دار غني	ق ١٣١
(الدنيا) دار شخوص	خ١٩٦	(الدنيا) دار دول	ق ٧٢	(الدنيا) دار موعظة	ق ١٣١
(الدنيا) محلة تنغيص	خ ١٩٦	(الدنيا) قرار خبرة	خ٨٣	(الدنيا) دار عبرة	خ ٨٣
(الدنيا) دار فناء	خ١١٤	(الدنيا) دار عناء	خ١١٤	(الدنيا) دار غيَر	خ١١٤
(الدنيا) دار عبَر	خ١١٤	(الدنيا) دار تنقض كالبناء	خ ١١٣	(الدنيا) دار منى لها الفناء	خ ٤٥
(الدنيا) دار أولها عناء وآخرها فناء	خ ٨٢	(الدنيا) دار الظعن	خ ٨٦	(الدنيا) دار مستعتب	خ٩٤
(الدنيا) دار لا يسلم منها إلا فيها	خ٦٣	(الدنيا) بئست الدار لمن لم يتهمها	خ١١١	(الدنيا) دار ليست بداركم	خ١٨٣
(الدنيا) دار حرب وسلب ونهب وعطب	خ١٩١	(الدنيا) لنعم دار من لم يرض بها دارا	خ٢٢٣	(الدنيا) دار بلغة	خ١١٣
(الدنيا) أقرب دار من سخط الله	خ١٦١	(الدنيا) أبعد دار من رضوان الله	خ١٦١	(الدنيا) دار هانت على ربها	خ ١١٣

نظرة الإنسان إلى الدنيا وفهمه منها من أهمّ أسباب وعوامل تكوين شخصية الإنسان وبناء مبانيه الفكرية وكيفية تفكيره ونزعاته العقدية. لنفس السبب تشكل التصوّرات الاستعارية والاستعارات المفهومية للدّنيا كمية هائلة من الاستعارات في نهج البلاغة واستعارة "الدّنيا هي الدّار" أشهر استعارة تعرّف ماهية الدنيا وتفصّل حالات الدنيا وظروفها. يستخدم الإمام عليه السلام التركيبات الإسنادية، الإضافية والوصفية الاستعارية المتعددة للدّنيا المأخوذة من استعارة "الدّنيا دار ومنزل"تعريفا لأبعادها المتنوعة والمتعددة. اختصرنا أهمّ الشواهد فيما يلي[١]:

فالاستعارات اللّغوية أعلاه المبتنية على الاستعارة المفهومية *"الدنيا دار"* تصوّر وتجسّم وتعرّف فناء الدنيا، عناءها، غِيرها، عبرها، الخبرة فيها، التنغيص فيها، الاستعتاب فيها،

١. حرف "خ" مخففة عن الخطبة وحرف "ر" مخففة عن الرسالة وحرف "ق" مخففة عن القصار وتعني الكلمات القصار.

Archive of SID

www.SID.ir

مجازها، بلاياها، دولها، الصدق فيها، السلام فيها وغير ذلك من خصائص الدنيا تجعلها معروفة لدى المخاطب؛ فتعددت المجال المصدر لتجسيم وتعريف المجال المستهدف (الدنيا). تشكلت استعارة "الدنيا منزل" على اساس استعارة "الحياة سفر" البنيوية العالمية التي توسعت وتحولت في الثقافة الدينية بحيث أصبحت لها خصائصها ومقتضياتها المتناسبة مع الفكر الديني؛ لأنّ أكثر التركيبات (الإضافية والوصفية والإسنادية) المعنية بها تدلّ على الرحلة والسفر والحركة وترك المكان واختيار المنزل و... ولأنّ الدنيا لاتصير منزلا إلا بعد صيرورة الحياة سفرا من الله وإلى الله بالولادة في الدنيا ثمّ الممات والرحلة إلى الآخرة. على هذا الأساس يصبح الإنسان مسافرا يلبث في الدنيا بوصفها دارا ومنزلا مؤقتا عدة ايام ثم يواصل سفرته إلى دار الإقامة وهي الآخرة فلا تُعدّ هذه الدنيا بالنسبة إلى الإنسان إلّا منزلا مؤقتا له لا يبقى فيها الّا اياما معدودة. فلهذه الدار الفانية سمات وخصائص تجسمت وتبلورت في الاستعارات المتعددة والمتنوعة المذكورة، من أهمها ماهية الدنيا الفانية المتغيرة الخادعة والعبرة والموعظة فيها وضرورة التزود منها. تتشكل الاستعارات المفهومية عادة على أساس ترابطات وعلاقات نسقية في تجاربنا في الحياة. فالإنسان قد يسافر ويواجه في سفرته مسائل مختلفة ومراحل متنوعة تشكل تصورات مفهومية له في حياته؛ فيستخدمها لبناء تصورات مفهومية أخرى تساعده في إدراك مفاهيم إنتزاعية متقاربة كما أنّ الإمام عليه السلام يستخدم الاستعارة المفهومية المأخوذة من السفر بوصفه حقلا مبدئيا (مجالا مصدريا) لإدراك مكانة الدنيا ودورها في حياة الإنسان ومماته: «فَإِنّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَأَمّوا عَلَماً فَكَأَنّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ» (خ۹۹) و«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وَخُشُونَةَ السَّفَرِ وَفَرَاقِ الصّدِيقِ وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ لِيأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنزِلِ قَرَارِهِمْ» (ر۳۱).

الدّنيا عفطة عنز:

قد يتبلور مفهوم تهافة الدنيا وحقارتها في هذا التصور المفهومي الأنطولوجي الذي تناظر فيه الدنيا نثير العنزة وهو رمز الحقارة والدناءة. يستشهد في الأدبين العربية والفارسية بعفطة العنز للدلالة إلى التفاهة والهوان ويتمثل بها للإزدراء البالغ بما لاقيمة له. هذا التصور يعرّف ماهية الدنيا وقيمتها أحسن وأدلّ من كلّ إيضاح وتفصيل وهذا من محاسن الاستعارات المفهومية في اللغة بحيث نجد في هذه التصورات الاستعارية من التأكيد والتقرير ما لا يوجد في أيّ نوع من أدوات وأسباب التأكيد ونجد فيها من عمق الدلالة وصراحتها ما لا يوجد في أي

Archive of SID

www.SID.ir

من أنواع التصريح المطنب والتفصيل الطويل «... وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» (خ٣) فالمجال المصدر هو نثير العنزة والمجال المستهدف هو الدنيا وقيمتها.

الدنيا مزرعة:

التعاليم الإسلامية تعرّف الدنيا مدة قصيرة وفرصة قيمة للتزود والتهيأ للحلول في دار البقاء وتتوقف سعادة الإنسان بالجد والاجتهاد لإنقاذ نفسه من المهالك الدنيوية. بهذا الأساس ليست الدنيا الا أرضا مناسبة وترابا صالحا لزراعة الصالحات الباقيات فليست مهمة الإنسان الأصلية الّا زراعة الخير والإحسان وإنجاز التكاليف والفرائض والإحتراز عن المحرمات.

تعتبر استعارة *"الدنيا مزرعة"* المأخوذة من الاستعارة البنيوية *"الحياة زراعة"* من أكثر الاستعارات شيوعا في الفكر الديني كما كثُر استعمالها في القرآن الكريم ونهج البلاغة بأشكال متنوعة. فتتجسّد الدّنيا مزرعة يزرع الإنسان فيها ويحصد في الآخرة كلّ ما زرعه في الدنيا. فيزرع الزارع المال والبنين لدنياه ويزرع العمل الصالح لآخرته، فيناظر المال والبنين حرث الدنيا ويناظر العمل الصالح حرث الآخرة وتناظر الدنيا المزرعة فتصبح الإنسان هو الزارع ومهمّته هي الزرع لآخرته مع أنه لا يستغني عن زرع الدنيا وهذا تحريض إلى التقوى والعمل الصالح: «إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ» (خ٢٣).

الدنيا مضمار:

يعتبر الإمام عليه السلام الدنيا مضمارا[1] بالإحالة إليها فالدنيا تناظر موضعا يضمر فيه الخيل، القيامة تناظر ميدان السباق، الفائز يحصل على الجنة التي تناظر الجائزة والنار تعادل جريمة الخاسرين والاشخاص هم المسابقون في: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ والسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» (خ٢٨) هذه الاستعارة المفهومية من استلزامات الاستعارة البنيوية *"الحياة الأخروية والدنيوية سباق"* وهي تعرّف بوضوح مكانة الدنيا التبعي العارضي التمهيدي في المنظومة المعرفية الإسلامية كما تعرّف مكانة الإنسان ومهمته في الدنيا فكلّ نشاطات الإنسان في الدنيا مقدمة لمهمته الأصلية على أساس الفكر العلوي الإسلامي وهي الإستعداد لسباق لابد منه في حياة الدنيا وهذا السباق صورة دقيقة موجزة دالة ومبتكرة لحال الإنسان وأوضاعه في الدنيا.

---

١. «المضمار: المدّة الّتي يضمر فيها الخيل للمسابقة أى تعلف حتّى تسمن ثمّ تردّ إلى القوت والمدّة أربعون يوما، وقد يطلق على الموضع الّذي يضمر فيه أيضا» (ابن ميثم، ١٣٦٢، ج٢: ٣٩).

Archive of SID

www.SID.ir

الدنيا مجمع الزاد:

من أهمّ الاستعارات الأكثر استعمالا في نهج البلاغة هي استعارة " الحياة سفرة" البنيوية، اذن الإنسان مسافر ،خلقته بداية السفرة، والآخرة منتهى هذه السفرة واستعارة "الدّنيا مجمع الزاد" الوجودية من مقتضيات استعارة "الحياة سفر" البنيوية يستخدمها الإمام علي عليه السلام مرات عديدة في نهج البلاغة بأشكال مختلفة واستعارات لغوية متعددة لتناسبها مع المفاهيم الدينية والقيم الأخلاقية؛ كما في: «فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً» (خ۲۸).

الدنيا متجر:

استعارة "الحياة تجارة" البنيوية من أهم الاستعارات في نهج البلاغة ومن أكثرها شيوعا لتصوير الدنيا وتجسيمها لأنها تصوير وترسيم دقيق لما يجري في حياة الإنسان ومماته. على أساس هذه الإستعارة البنيوية الوضعية العالمية بالإجمال، الدينية في الجزئيات،الدنيا تناظر المتجر فالعمل الصالح يناظر متاعا يُشترى والجنة والرحمة تناظران ربح هذه التجارة المربحة كما في: «[الدنيا] مَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ورَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ» فالرحمة ربح أولياء الله في تجارتهم وأمّا لأهل الدنيا ومحبيها إذن "*طلب الدنيا تجارة خاسرة*" فتناظر لذائذ الدنيا الثمنَ الذي يؤخذ وتناظر النفس المتاعَ الذي يباع وتناظر الجنة المتاعَ الذي يباع مقابل اشتراء الدنيا فطالب الدنيا هو التاجر الخاسر؛ إذن إعتبر الإمام عليه السلام هذا النوع من العلاقة بالدنيا تجارة سيئة: «لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً» (خ ۳۲) هذه الاستعارة نجدها أيضا في: «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا» (خ ٣٤). «فيها استعارة فلأنّه ذكر العوض والخلف اللذين من خواصّ المعاوضة، فيكون استعارة مكنيا بها عن لحوق الخسران العظيم بمن رضي بالحياة الدنيا الفانية والمذلّة فيها وأعرض عن الحياة الباقية الابديّة والعزة السرمدية، مستدعية لتشبيه هيئة من استبدل الحياة الدنيا والذل، بل في غاية الخساسة بالآخرة والعزة، وهي معقولة، بهيئة من استبدل المتاع الخسيس بالمتاع النفيس، بل في غاية النفاسة وهي محسوسة. (شارح القرن الثامن، ۱۳۷۵: ٤١٩) كما نجدها في: «فاتقوا اللّه عباد اللّه... وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم» (خ ٦٤) فمن علامات المتقين أنّهم يبتاعون ما يبقى لآخرتهم مقابل ما يزول من دنياهم و«هو أمر بشراء الآخرة بالدّنيا وتوصيف المبتاع بالبقاء والثّمن بالزّوال ترغيبا وتحريصا، إذ تبديل الزّايل بالباقي بيعة رابحة وكفة راجحة لا يرغب عنها العاقل...» (الخوئي، ۱۳۵۸، ج٤: ٣٩٦) كون "الدنيا شيء زائل" استعارة في ظلّ الاستعارة البنيوية" الحياة تجارة" ومن مقتضياتها الّتي تكمّل معناها.

Archive of SID

www.SID.ir

الدنيا حثالة القرظ وقراضة الجلم:

من أهمّ سمات استعارات الدنيا وماهيتها في نهج البلاغة هو تنوع وتعدد الاستعارات تتناول أبعاد الدنيا الوجودية وماهيتها من جهات متعددة لكل منها جدّة وجاذبية خاصة تجعل ماهية الدنيا وجميع أبعادها في متناول الحس والإدراك، منها استعارة "الدنيا حثالة القرظ وقراضة الجلم". تجسّمت الدنيا في هذه الاستعارة الأنطولوجية أصغر وأحقر من حثالة القرظ وقراضة الجلم وهما من رموز الحقارة والنزارة[١]: «فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ» (خ٣٢). وهذا «أمر للسامعين باستصغار الدنيا واحتقارها إلى حدّ لا يكون في أعينهم ما هو أحقر منها فإنّ حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة وغايته الترك لها فإنّ استحقار الشيء واستصغاره يستتبع تركه والإعراض عنه» (ابن ميثم، ١٣٦٢، ج٢: ٧١) فالمجال المصدر (حثالة القرظ وقراضة الجلم) تجسّم بوضوح هوان الدنيا.

الدنيا ظلّ:

الظل من رموز الفناء والزوال كما أنه من رموز عدم الأصالة وفقد الاستقلال فكثيرا ما يتمثلون به للإشارة إلى كلّ شيء فانٍ زائل بخس رخيص يزول عن قريب وهو مجال مصدر متناسب لزوال الدنيا. على هذا الأساس عدد من استعارات نهج البلاغه الوجودية يجسّم ويصوّر الدنيا ظلّا لا يبقى إلّا قليلا ولا أصالة له كما أنهّ لاتلبث حياة الدنيا وأموالها وأولادها إلّا تفني؛ لأنّ المرور السريع والفناء وفقد الأصالة من أهمّ سمات الظلّ المعروفة: «فَإِنَّهَا (الدنيا) عِنْدَ ذَوِي اَلْعُقُولِ كَفَيْءِ اَلظِّلِّ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ» (خ٦٣) فالمجال المصدر (الظل) يصوّر فناء الدنيا وزوالها ويجعلها في متناول القوة البصرية وخاصة عند العقلاء الذين يرون حقيقة الدنيا.

الدنيا وسيلة أو هدف:

قد عرّف القرآن الكريم العثور على معرفة الله ومعرفة الخلق من أفضل مهامّ الإنسان في الدنيا وهو باستطاعته أن يستخدم نفس الدنيا وما فيها وسيلة للحصول على هذه المعرفة وتعميقها في وجود المومنين. إذن قد يصوّر الإمام عليه السلام الدنيا آلة ووسيلة للحصول على هذه المعرفة. فالحصول على البصيرة يتوقف على وضع الدنيا موضع الوسيلة ومن لم يجعل الدنيا

١. «الحثالة هي القشارة وما لا خير فيه والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم هو المقراض يجز به الصوف ونحوه، وقراضته ما يسقط منه عند القرض» (ينظر: ابن منظور، ١٤١٢هـ، مادة حثل وقرظ وجلم).

Archive of SID

www.SID.ir

وسيلة فلابد له من وضع الدنيا موضع الهدف، فيصبح أعمى؛ فلا يحصل على البصيرة بل يؤدّي أمره إلى الضلالة والهلاك: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ» (خ۸۲) «يعني من جعلها آلة لإبصاره ومرآة للوصول إلى الغير يجعلها الدّنيا صاحب بصيرة ومن كان نظره وتوجّهه إليها وهمّته معطوفا عليها يجعلها الدّنيا أعمى» (الخوئي، ۱۳۵۸، ج٥: ٣٤٠). ففي "أبصر بها" و"أبصر إليها" استعارتان مفهوميتان وفي "بصّرته" و"أعمته" مجازان علاقتهما السببية. فالمجالان المصدران هما الوسيلة والهدف والمجال المستهدف هو الدنيا في الظروف المختلفة كما أنّ البصر استعارة عن البصيرة وأنّ العمى استعارة عن فقد البصيرة.

الدنيا طعام وشراب:

مما يراه الإنسان كل يوم ويلمسه ويحسه ويذوقه ويأكله هو الطعام فالطعام من أحسن ما يستطيع الانسان أن يختاره لتصور الأمور والشؤون الانتزاعية ومنها الدينية والأخلاقية اذن الطعام من أشهر ما يستخدم لبناء الاستعارات الوضعية والإبداعية في اللغات المختلفة العالمية ومنها العربية والفارسية كما نرى في القرآن الكريم ونهج البلاغة ومن أهم المفاهيم التي تصورت في إطار المأكولات والمناظر في نهج البلاغة هي الدنيا بوصفها مفهوما جامعا ومصطلحا مفتاحيا بحيث يتصور الإمام عليه السلام الدنيا في نسقه التصوري في إطار المأكولات بحيث يتكلم عن حلوها ومرّها وطعمها ولذتها كما يتكلم عن سمومها ووباءها. إذن عندما يريد الإمام عليه السلام أن يشير إلى بهجة الدنيا أو نوائبها يجسمها كطعام وشراب حلو أو مرّ، فلذائذ الدنيا تناظر الأطعمة الحلوة ونوائب الدنيا تناظر الأطعمة المرّة: «وإن جَانِبٌ مِنهَا اعذَوذَبَ واحلَولَى، أَمَرَّ مِنهَا جَانِبٌ فَأَوبَى» (خ١١١) و«فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ اَلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ» (خ١١١) «عَيشُها رَنِقٌ، وعَذْبُها اجَاجٌ، وحُلْوُها صَبِرٌ» (خ١١١) بدأت لذائذ الدنيا تنتهي وبدأت المصائب تظهر فتمضي مظاهر الرفاهية وتنقضي أوقات التنعم وأطواره فيواجه الإنسان مرارة الدنيا ونوائبه؛ يجسّم الإمام عليه السلام هذه الحقيقة مستعيرا المرارة والحلو فالتكدر والصفاء وكلّها من خصائص الحواس الخمس خاصة حاسة الذوق كما يستعير قلة جرعة الماء في قاع الإناء والقطرة منها في قاع البئر اللتان لا ترويان العطشان، دلالة لسرعة زوال الدنيا وفناءها وقلة ما بقي من الدنيا: «وَقَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً وكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ» (خ ٥٢) نجد ما يشبه هذه الاستعارة في عبارات أخري؛ منها:

Archive of SID

www.SID.ir

«إنّ اَلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا ويُوبِقُ مَخْبَرُهَا» (خ٨٣) (إنّ اَلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا) «وهو كناية من كدر لذّاتها من حيث شوبها بالتّعب والمصائب والهموم والأحزان (رَدِغٌ مَشْرَعُهَا) لأنّ موارد تناولها والشّروع فيها من مزالق الأقدام عن سواء الصّراط إلى طرفي التفريط والإفراط، وذلك لكثرة الشبهات وغلبة المشتبهات» (الخوئي، ١٣٥٨ش، ج٥: ٣٥٧) قد تتجلّى الدّنيا شيئا يزول على أساس استعارة أنطولوجية ترتكز على التّصورات الفيزيائية وتأسّست على علاقات نسقية في تجارب الإنسان في حياتها اليومية فتنفد الدّنيا كما تنفد المأكولات وتزول البنايات وأمثالها: «(الدنيا) حائلة زائلة نافدة بائدة» (خ١١١) قد يبني الإمام الاستعارة بتكميم مفهوم الدنيا باستخدام مفاهيم كمية من الكثرة والقلة: «فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا» (ر٦٨).

الدنيا جيفة:

تعادل الدنيا في الثقافة الدينية جيفة نتنة مثيرة للاشمئزاز توافقَ أهل الدنيا على حبها؛ فعرّف الإمام عليه السلام الدنيا جيفة يتكالب الناس ويتنافسون للحصول عليها، فتناظر الدنيا الجيفة وينـاظر أهل الدنيا ومحبوها المتنافسين للحصول على هذه الجيفة النتنة: «يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ويَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ (خ١٥١) و«أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا» (خ١٠٩) فتصور المجال المصدر (الجيفة) يدعو الإنسان إلى أن يحذر الدنيا وغرورها. اختيار هذه الاستعارة يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام يعتقد بهوان الدنيا وازدراءها وتفاهة متعلقاتها ونزارة ملذاتها لأنّ الجيفة وتصورها مثيرة للاشمئزاز من ناحية ومن ناحية أخرى لا قيمة لها ولا يمكن الانتفاء بها لأنّ الجيفة حرام على الآكلين المومنين كما أنّ لها رائحة كريهة يبتعد عنها كل من يراه ولها مناظر بشعة قبيحة يكرهها كل ناظر إذن الجيفة قبيحة منظرا ورائحة وطعما ولونا ولايمكن استخدامها في أي نوع من الأطعمة. هذه الصورة الاستعارية يعرفها المخاطب على أساس تجاربه في الحياة وهذه التجربة المحسوسة تناسب المفهوم الانتزاعي المجرد لهوان الدنيا وتفاهتها.

الدّنيا معبودة:

قد تكون للاستعارة أسس ثقافية عقدية يرتبط فيها حقل المبدأ (المجال المصدر) أو حقل المقصد (المجال المستهدف) بالمعارف الدينية بصورة مباشرة، فتنسجم هذه القيم الثقافية المتجذرة مع الأبنية الاستعارية كما قد تصوّر الامام عليه السلام الدنيا معبودة لمحبي الدنيا الذين

Archive of SID

www.SID.ir

يتنصلون عن عبادة الله تعالى فيعبدونها ويؤثرونها، فيناظر المذنب العابد للدنيا وتناظر الدنيا معبودة يعبدها المذنبون والمشركون: «(هم)... تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ» (خ۱۱۱) و«وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا» (۱۰۹).

الدنيا أمّ الإنسان أو أبوه:

فقد المعرفة بالنسبة إلى حقيقة الدنيا وماهيتها يجعل الإنسان يحب الدنيا وزخارفها وينشغل بلذائذها وملاهيها فيعشقها ولا يستطيع أن ينفصل عنها ويتركها بسهولة كما يصعب على الأولاد أن يتركوا أمهاتهم ولكن هذه الأم الحنون تترك وتطرد أولادها بسهولة؛ إذن تتجسد الدنيا في النسق التصوري العلوي أُمّا متصلبة قاسية لها أولاد لاترحمهم بل تطردهم من حضنها وتقذفهم في المهاوي: «اِنْصَرَمَتِ اَلدُّنْيا بِأَهْلِهَا وَاَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا...» (خ۱۹۰) كما يجسّم الإمام عليه السلام محبة أهل الدنيا إلى الدنيا وطلبهم لها ومصاحبتهم إياها كالعلاقة الموجودة بين الإنسان وأبيه؛ لأنّ الإنسان يحبّ أباه ويصاحبه ويتعلق به تعلقا وطيدا. هذه الاستعارة تصوّر مدى نزعة أهل الدنيا إلى التعلقات الدنيوية: «وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (خ٤٢). «وجه الاستعارة أنّ الإبن لمّا كان من شأنه الميل إلى والده إمّا ميلا طبيعيّا أو بحسب تصوّر المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة، ويميل كلّ منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها ممّا يتوهّمونه لذّة وخيرا، وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذّة والسعادة أشبه كلّ بالنسبة إلى ما رغب فيه واستفاد منه الخير، الابن بالنسبة إلى الأب فاستعير لفظه لتلك المشابهة» (ابن ميثم، ۱۳٦۲، ج۲: ۱۰۲).

الدّنيا امرأة متحببة متحلية:

تتشخّص الدنيا في الثقافة العلوية امرأة من النساء اللاتي يتحببن ويتحلين ويتزينّ ويغررن الآخرين بحيث تُعجب زينتها أهل الدنيا: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ اَلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ» (خ۱۱۱) تدل هذه العبارة إلى مدى الخطأ الذي يقع فيه الإنسان عندما يغتر بأمواله وأولاده لأنّ جميع القيم الدنيوية من ثروة وزوجة وأولاد وغيرها تحاول أن تلهي الإنسان عن الله تعالى وعن الآخرة فتجلت الدنيا في تعاليم نهج البلاغة كالنساء اللاتي يلهين بعض الرجال ويغررنهم بأنواع

Archive of SID

www.SID.ir

التزين والتحلي وأنواع النشاطات المغرية والمثيرة. بما أنّ هذه الحيل والإغراءات أصبحت رمزا للتأثير السلبي والغدر والمؤامرة المهلكة، استخدم الإمام هذه الاستعارة تصويرا لجاذبية الدنيا المغفلة المهلكة لمحبيها؛ كما يؤكد الإمام عليه السلام في إطار الاستعارة التشخيصية الوجودية على أنّ الدنيا كإنسان غدّار خدّاع يعطي فيأخذ ما أعطاه ويلبس فينزع ما ألبسه فتناظر الدنيا شخصية خبيثة تلقي الإنسان في المهالك وهذا تحذير بليغ للإنسان مقابل مخاطر حبّ الدنيا والغفلة عن أداء الواجب: «فاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ» (خ٢٣٠) و«وَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ اَلْحَيَاةُ اَلدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (خ٢٣٠) وهذه استعارة إبداعية دينية بتحويل أجزاء الاستعارة الوضعية وبسطها.

الدنيا صياد:

هناك مرتكزات تجريبية تستخدم في بناء التصورات الاستعارية؛ منها ما نرى في الصيد والرمي بالسهام أو بالرمح كما يبني الإمام عليه السلام عددا من الاستعارات في نهج البلاغة على الصيد بالحبال أو بالسهام؛ كما في: «... وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ» (خ٨٣) يحدث الصيد للسلوة أو الارتزاق في الشعوب في الأطوار المختلفة ولا ينحصر في شعب أو عصر زمني خاص؛ إذن الصيد كعمل فيزيائي منظور محسوس ومعروف بين الجميع وبما أنّ الصياد يستخدم أنواع الشبكات والأشراك والسهام للصيد فيشكل مجالا مناسبا وحقلا مبدئيا متناسبا لترسيم وتصوير دور زخارف الدنيا وتمتعاتها في إغفال وإزاغة الإنسان عن عبودية الله تعالى ثم توجيهه نحو القبور. فتناظر الدنيا صيادا يصيد بحبله ويرمي بالسهام والإنسان غرض هذا الصياد الذي يضع حبل المنية على عنق كلّ إنسان ويقوده نحو مرقده. نجد الدنيا في الاستعارة الأنطولوجية التالية أيضا، صيادة ماهرة تصطاد الناس أجمعين والمنون هي السهام التي ترميهم بها ولاتخطئ سهامها: «إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا» (خ٢٢٦) فالدنيا تناظر الصياد والإنسان يناظر الصيد والموت والمصائب هي سهام بيد الدنيا وآلة لصيد الإنسان.

الدنيا إنسان مدبر:

تسمح لنا الاستعارة الأنطولوجية *"الدنيا إنسان مدبر"* أن نحس مرور الزمن وانقضاء الدنيا وانتهاء الحياة فيها كما نحس بها اقتراب الآخرة ويوم الحساب؛ لأنّ الدنيا ظهرت كإنسان

Archive of SID

www.SID.ir

مـدبر بـدأ يبتعـد عـن الآخـرين كـل يـوم وآذن بفراقـه حـتى يسـتعدّ الجميـع: «إِنّ فِيَمـا تَبَيّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنّي، و... مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ» (ر۳۱) و«أَمّا بَعْدُ فَإِنّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وإِنّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ» (خ۲۸). إذا أجال الإنسان بصره فيما حوله وجد الكثير من علامات الفناء والزوال في الدنيا إذن كل من يتامل في حقيقة الدنيا يراها كمن أدبر يذهب إلى الفناء وصورة الانسان المدبر صورة ديناميكية متحركة معروفة لدى الجميع فهي تتناسب تناسبا تاما مع ذهاب الدنيا إلى الزوال والانقطاع فالدنيا هي المجال المستهدف والانسان المدبر هو المجال المبدأ.

الدنيا إنسان ناصح صادق مع أنها جليسة خائنة:

يستخدم الامام علي عليه السلام محسنة البارادوكس (التناقض المؤول) لتعريف وجوه الدنيا وأبعادها السلبية والايجابية؛ لأنه ليس للدنيا وجه قبيح سلبي فحسب بل لها وجه آخر وهو الوجه الإيجابي يستطيع الإنسان أن يواجه الدنيا بوجهها الأيجابي المفيد؛ فقد تتجسم الدنيا إنسانا يكشف عن عظاته، ينصح ويحذّر ويصدق في كلامه ويفي بعهده ويذكر ويعظ موعظة شفيق صادق. فتلعب الدنيا دور الناصح الصادق الوفي وباستطاعة الانسان أن يستخدم الدنيا وسيلة لإنقاذ نفسه من الوقوع في التهلكة وخلق الانسان لاكتساب الأهلية اللازمة للحصول على السعادة الباقية وجعل الله تعالى إمكانيات في الدنيا تساعد الانسان في كسب هذه الأهلية كما يقدر الانسان أن يتعظ ويعتبر مما يرى من عاقبة الشعوب المختلفة المعتنقة للإيمان أم المتنصلة عنه. «وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَات، وآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاء، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بك» (خ۲۲۳).

من جانب آخر يحذّر الإمام عليه السلام من حقيقة أخرى وهي أنّ الدنيا صاحبة وأنيسة للإنسان إلا أنها لايمكن الاتكاء والإعتماد عليها. فتصوّر الإمام عليه السلام الدنيا كما لو كان شخصا يضمر لنا الخيانة والشر: «كُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونَ مِنْهَا، فَإِنّ صَاحِبَهَا كُلّمَا اطْمَأَنّ فِيهَا إِلَى سُرُور أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُور» (ر ٦٨) تجعلنا استعارة "الدنيا جليس خائن" واعين تمام الوعي بحالات الدنيا ودورها في حياتنا بوصفها جليسة تخوننا وتتركنا وترهقنا وتضرّ بنا فتهلكنا في النهاية: «فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً

Archive of SID

www.SID.ir

بِفِدْيَة أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَة أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ وضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ» (خ١١١).

الدنيا سفينة تقصفها العواصف:

يحذّر الامام علي عليه السلام المؤمنين عن ظروف الخطرة والمهلكة للانسان في الدنيا مستخدما استعارة مفهومية تصور جيدة أهوال الدنيا وأحوالها كما تصور عاقبة حياة الانسان في الدنيا وفقده الاستطاعة على الخلود في الدنيا وسيتركها عن كثب. تستند استعارة *"الدنيا سفينة"* إلى مرتكزات فيزيائية تكمن في أن الانسان بوصفه راكبا سفينة تقصفها العواصف لايستطيع أن يعيش بهدوء إلا أن يكون على حذر من مخاطر الدنيا وعليه أن يعرف أنّ الأمواج الرهيبة ستغرقه ولاتنقذه هذه السفينة من هذه المهلكة ولا مناص له: «تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ اَلسَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا اَلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ اَلْبِحَارِ فَمِنْهُمُ اَلْغَرِقُ اَلْوَبِقُ وَمِنْهُمُ اَلنَّاجِي عَلَى بُطُونِ اَلْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ اَلرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ» (خ ١٩٦).

الدنيا صلّ مهلك وناقة مهلكة:

مما يؤثّر على حيوية الصورة الاستعارية وديناميكية التصورات المفهومية اختيار الموجودات الحية وأنواع الحيوانات بوصفها مجالا مصدرا لبنينة التصورات. لنفس السبب يستخدم الإمام عليه السلام حيوانات مختلفة لبناء التصورات المفهومية على أساس ما اشتهر به كل حيوان في خلق التصاوير الفنية والرموز اللغوية المعروفة وخاصة الحيوانات التي توجد في أهضاب وسهول البلدان العربية آنذاك كما اشتهر الذئب بالافتراس والثعلب بالغدر والكلب بالوفاء وأمثال ذلك. من هذا المنطلق قد تتجلى الدنيا وجمال منظرها وأناقتها مع مخاطر حقيقتها وإردائها، على هيئة أصلال سامة وحيات مهلكة كما قال عليه السلام: «إنّما مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الحَيّةِ؛ لَيِّنٌ مَسُّها، قاتِلٌ سَمُّها» (ر٦٨) هذه من الاستعارات الحية المتحرّكة الجاذبة للعناية والمؤثرة على المخاطب. فالمجال المصدر هو الحيات اللينة السامة تعرف وتصور بوضوح المجال المستهدف لأنّ الدنيا كما قال علي عليه السلام «يونق منظرها ويوبق مخبرها» (خ٨٣). قد يبني الإمام عليه السلام للدنيا نوعا من الوجود فتكون ناقة لها درّة تُحتلب وتستطيع أن تطيء الإنسانَ بمناسمها وتقمصه بأرجلها وتنقاد بزمامها للمتقين؛ فيتشكل حقل المبدإ (المجال المصدر) من الناقة، درتها، منسمها، قمصها، زمامها ويتشكل حقل المقصد (المجال المستهدف) من

Archive of SID

www.SID.ir

الدنيا، لذائذها، مكارهها، مصائبها، إقبالها وادبارها: «الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا» (خ٢٣٠) و«(الدُّنيا) وَطِئَتهُم بِالمَناسِم» (خ١١١) و«حَتّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا» (خ٨٣) و«انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا» (خ١٣٣) ترسم هذه الاستعارة علاقة تصوراتنا الذهنية بالبيئة التي قد حاصرتنا وأحاطت بنا.

الدنيا لماظة:

إن جميع ما يتمتع بها الإنسان من الذهب والفضة، والأمتعة والأولاد، والمآكل والمشارب وغير ذلك من ملاذّ الدنيا وممتلكاتها كل ذلك محشوّ بالمنغصات، ممزوج بالمكدرات، محكوم بالزوال ومصحوب بالحقارة والدناءة فيريد الإمام عليه السلام أن يجسم هذه الحقيقة ويرسم هذا الجانب من وجه الدنيا فيستخدم رمز التفاهة والحقارة لتصوير الدنيا أي "اللماظة" وهي ما يبقى من الطعام بين الأسنان التي يتمثل بها للدلالة على الهوان والحقارة البالغة. اللماظة تصور استعاري معروف ومحسوس تجربي لهذا المفهوم صارت مجالا مصدرا مناسبا لبناء صورة استعارية لمفهوم انتزاعي. فمن ألقى الدنيا كلماظة لأهل الدنيا ومحبيها فهو يعدّ حرا على أساس رأي الإمام عليه السلام في نهج البلاغة: «أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا» (ق٤٥٦).

www.SID.ir

النتائج

- يستخدم الإمام علي عليه السلام استعارات متنوعة من الوضعية والإبداعية بأشكالهما المختلفة لتعريف ماهية الدنيا وحالاتها إلّا أنّ الاستعارتين *"الدّنيا دار ومنزل"* و*"الدّنيا انسان غدّار"* أشهر هذه الاستعارات في نهج البلاغة والاستعارات الوجودية التشخيصية الحية هي أكثر استخداما بين الاستعارات.
- كثرة الاستعارات وتنوعها وتعددها والحيوية فيها وارتكاز الاستعارات على المفاهيم الدينية والثقافية حول الدنيا وانسجامها مع هذه المفاهيم هي أهمّ سمات هذه الاستعارات وخصائصها. يستخدم الإمام عليه السلام ألوان الاستعارة في تعريف الدنيا وحالاتها بتحويل الاستعارات الوضعية وفقا للأفكار الدينية واللغة القرآنية وباستخدام الاستعارات الإبداعية التي تتناسب الثقافة الإسلامية.
- أهمّ الاستعارات البنيوية في نهج البلاغة لتعريف الدنيا وماهيتها هي: "الحياة سفر" فالدنيا منزل السفر، "الحياة تجارة" فالدنيا متجر، "الحياة اختبار" فالدنيا مختبر، "الحياة زراعة" فالدنيا مزرعة، "الحياة سباق" فالدنيا مضمار.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

نهج البلاغة

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد (١٤١٥هـ). *شرح نهج‌البلاغة*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٢هـ). *لسان العرب*. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣. ابن ميثم بحراني، كمال الدين (١٤٢٠هـ). *شرح نهج‌البلاغة*. بيروت: دار الثقلين.

٤. پورابراهيم، شيرين (١٣٨٨ش). *بررسي زبانشناختي استعاره در قرآن: رويكرد نظرية معاصر استعاره*. رسالة دكتوراه، جامعة تربيت مدرس.

٥. جيرارتس، ديرك (٢٠١٣م). *نظريات علم الدلالة المعجمي*. ترجمة فريق الترجمة بجامعة الأميرة نورة، الرياض: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

٦. الخوئي، ميرزا حبيب الله (١٣٥٧ش). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*. ط ٤، طهران: المكتبة الاسلامية.

٧. دبير مقدم، محمد (١٣٨٣ش). *زبان شناسي نظري، پيدايش وتكوين دستور زايشي*. ط ٢، طهران: انتشارات سمت.

٨. رضي، شريف (١٤١٤هـ). *نهج‌البلاغة*. تصحيح صبحي صالح، ١ ج، قم: هجرت.

٩. شارح القرن الثامن (مجهول) (١٣٧٥ش). *شرح نهج البلاغة*. قم: انتشارات عطارد.

١٠. صفوي، كورش (١٣٩٢ش). *درآمدي بر معناشناسي*. ط ٥، طهران: انتشارات سوره مهر.

١١. قائمي، مرتضى (١٤٣٨هـ). «توظيف الاستعارة المفهومية لتكوين المنظومة الأخلاقية في نهج البلاغة؛ التقوى وهوى النفس أنموذجا (على أساس اللّسانيات المعرفية)». *مجلة اللغة العربية وآدابها*، جامعة طهران، المجلد ١٢، العدد ٤، صص٦٩٥-٧٢٠.

١٢. كرتوس، جميلة (٢٠١١م). *الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية، لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش أنموذجا*، رسالة جامعية، الجزائر، جامعة مولود معمري.

١٣. كوچش، زولتن (١٣٩٣ش). *مقدمه‌اي كاربردي بر استعاره*. ترجمه شيرين پورابراهيم، طهران: سمت.

١٤. لايكوف، جورج؛ وجونسون، مارك (٢٠٠٩م). *الاستعارات التي نحيا بها*. ترجمة عبدالمجيد جحفة، ط ٢، المغرب: دار توبقال للنشر.

Archive of SID

www.SID.ir

15. Erussard, Laurence (1997). From salt to salt: Cognitive metaphor and religious language. ***Cuadernos de filo logia inglesa***, 6(2): 197-212.
16. Lakoff, G.; Johnson, M. (1999): ***Philosophy in the Flesh***. New York: Basic Books.
17. Lakoff, G. (1992). ***The cotemporary theory of metaphor***. Cambridge: Cambridge university press.
18. Geeraerts, Dirk; Cuykens, Hubert (2007). ***The Handbook of Cognitive linguistics***. Oxford university press.
19. Harrison. Victoria (2007). *Metaphor, religious Language and Religious Experience*. **Sophia,** 46: 127-145.
20. Lee, David. (2001), ***Cognitive Linguistics, An introduction***, Oxford university press.
21. Ungerer, F; & SCHMID, H. J. (1996). ***An introduction to Cognitive linguistics***, Longman.

Archive of SID

www.SID.ir